

القراصنة في هوليوود: كابتن فيليبس والجانب الآخر من القصة

كتبه محمد موسى | 15 نوفمبر، 2013



إحتل الفيلم الجديد "كابتن فيليبس" للمخرج البريطاني بول غرينغراس إهتمام الاوساط الثقافية العربية وخاصة الصومالية منها. الفيلم ببطولة توم هانكس ممثلاً لدور الكبتن الحقيقي للسفينة التي إعتلاها اربعة قراصنة صوماليين في خليج عدن في عام 2009، هذه كانت هي الحادثة الأولى من نوعها ضد سفينة أميركية منذ ٢٠٠ سنة. يركز الفيلم على مذكرات قبطان السفينة نفسها ريتشارد فيليبس والذي نجى بإعجوبة من قبضة القراصنة بعد إنقاذ قواز البحرية الأمريكية له. بول غرينغراس مخرج الفيلم متخصص بجدارة في الأفلام المستوحاة من قصص واقعية، ظهر نجمه متجلباً في "يونيتد 93" (2007) و "المنطقة الخضراء" (2010) الامر الذي جعله الرجل المناسب لان يجسد قصة الكبتن ريتشارد فيلبس.

تبدأت احداث الفلم في منزل فيلبس وهو يجهز نفسه للسفر الى صلالة في عُمان ليتسلم مهامه كقبطان للسفينة الامريكية "ميريسك ألاباما"، وبعدها نراه يقود سيارته مع زوجته اندريا فيلبس والتي تقول له: "تظن أن رحلاتك الكثيرة هذه تزداد سهولة ولكن العكس صحيح" في حوارٍ طبيعي بين زوجين يعانيان من هموم الحياة وشقاوة الابناء المراهقين وخوف الزوجة على زوجها. ثم يطير فيلبس من ولاية فيرمونت الى عُمان، ليأخذنا غرينغراس بعدها الى مدينة أيل الصومالية في

محافظة نوغال في بونتلان، تلك المدينة التاريخية العريقة التي إختارها القراصنة عاصمة لهم نظراً لكانها الاستراتيجي بالقرب من خليج عدن.

هنا نجد القراصنة يستعدون ليوم آخر من العمل، حيث يربعون الأهالي ويجمعون أنفسهم في مكان واحد لإختيار عصابتهم لهذه الرحلة. هذا المشهد يوضح أشياء قد تخفى على الكثيرين، فهو من جهة يوضح مدى خوف الأهالي من القراصنة وخاصة زعمائهم ويوضح أيضاً مدى الفقر المضقع الذي يعيشه هؤلاء الصيادون السابقون قبل ان يرموا شباكهم ويحملوا رشاشاتهم.

نلاحظ أيضاً مدى الثراء الفاحش عند قادة القراصنة إذ نجدهم في سيارات دفع رباعية فارهة وحرس خاص تظنهم وكأنهم من القوات الخاصة. وتحت ضغط هؤلاء الحرس يعود القراصنة الى البحر مرغومين لكي يسعدوا قادتهم ويظلوا هم في فقرهم تحت قهر الظلم وقوة السلاح. غرينغراس هنا قام بشيء لم يسبقه اليه احد، فلقد وضع وبدون مبالغة قسوة ما يعيشه هؤلاء القراصنة، فرغم نجاحاتهم السابقة في نهب السفن وطلب الملايين كفدية إلا انهم مازالوا كما هم، لم يتغير أي شيء يذكر في حياتهم من مسكن أو مأكّل أو مشرب.

هنا تتسارع الأحداث، حيث يصل فيليبس الى سفينته ويبدأ في تأمينها ورفع التأهب فيها خشية أن يستولي القراصنة عليها، في الجانب الآخر نلاحظ خلافاً بين القراصنة حيث أن شاباً يدعى عبدالولي موسى (والذي يمثل دوره بركات عبيدي) يريد ان ينافس القائد الحالي لهذه الرحلة، ففي المحاولة الأولى للاستيلاء على "ميريسك ألاباما" نشاهد قاربين سريعين إنطلقا من المركب الأم للقراصنة بعد مشاهدة ألاباما بوحدها في قلب المحيط، تفشل المحاولة بعد أن تم ملاحظتهم وإبهامهم بأن القوات الأمريكية ستأتي لنجدة ألاباما في غضون عشر دقائق، وعليه فإن قائد القراصنة يتوقف ويعود بقاربه، أما موسى فإنه يستمر حتى يتعطل محركه.

في المركب الأم يصفى موسى حسابه مع القائد ويتخلص منه ليصبح هو القائد وليذهب الى ألاباما في الصباح بقاربٍ أسرع وأخف، أخذاً معه ثلاثة من خيرة رجاله، وهم ناجي (يمثله فيصل أحمد) و بلال (يمثله برخاد عبدالرحمن) و علمي (يمثله مهد علي). ينجح موسى ورجاله بالاستيلاء على ألاباما ولكنهم ولقلة عددهم يصادفون مشاكل كثيرة للتحكم بشكلٍ تامٍ على السفينة. في هذه الأثناء نلاحظ مدى التخبط وعدم التخطيط اللوجيكي لما يقومون به، فنراهم يتشاجرون ويصرخون على بعضهم بشكلٍ فوضاوي، لنفهم من هذا أن هؤلاء الفتية الأربعة ليسوا الا صيادين بسطاء قادهم اليأس الى ما يقومون به بدون أي خبرة إجرامي سابقة.

ومع هذا كله فإن موسى يبدو الأكثر تمالكا للنفس، اذ يهدئ رجاله ويقول لفيليبس: "كبتن لن يتأذى أحد إن صارحتنا وتوقفت عن اللعب معنا، نحن هنا لإتمام صفقة مالية لا أكثر ولا أقل، نحن لسنا إرهابيين.. إسترخي أيها الكبتن إسترخي سيكون كل شيء على ما يرام فأنا الكبتن الآن"

www.youtube.com/watch?v=b7HU2vWXLqU

تستمر أحداث الفيلم متسارعة بشكلٍ إثاري يجعلك لا تصدق أن هذا حدث فعلاً بفضل عبقرية غرينغراس الإخراجية وخبرة هانكس في تصوير هلع فيليبس ومحاولاته التخلص من القراصنة والنجاة بسفينته وطامها، ولكن ما جعل الفلم مختلفاً عن غيره هو إستخدام المخرج لممثلين صوماليين أكفيا من أمريكا وبريطانيا. بعض هؤلاء المثلون ذو خبرة تمثيلية في المسرح وبعضهم يدرس التمثيل ولكن معظمهم لم يمثل قط مثل بركات عبيدي من مدينة مينيابوليس في ولاية مينيسوتا الأمريكية، والذي حصل على الدور بدون أي خبرة مسرحية او تمثيلية مسبقة، ومع هذا

أجاد الدور بشلٍ رائع.

وهذا شيء آخر يضاف الى محاسن هذا الفيلم، إذ أنه لم يكتفي بقص قصة القراصنة بكل موضوعية بل إنه يظهر لنا أن الصوماليين ليسوا فقط من القراصنة الذين يربعون البحر أو من الشباب الذين يفجرون ويقتلون ويكفرون. بل هناك العديد من الأمثلة المضيئة أمثال بركات وأصدقائه الذين حاولوا جاهدين إتقان أدوارهم بكل حرفية وإمتهياز، وكل ما إحتاجوا إليه هو أن يعطوا فرصة لإظهار مواهبهم وأن يثق أحدٌ بهم وبقدراتهم.

قصة بركات عبيدي نفسها تستحق أن تروى في رواية أو في فيلم، إذ انه عايش الحرب الأهلية ومصائبها منذ أن كان في السابعة من عمره، يذكر هنا في إحدى لقاءاته التلفزيونية أنه يذكر أصوات طلاقات الرصاص وأنه هو وأخوه كانا يلعبان معاً لعبة تخمين إسم السلاح الذي تطلق منه كل رصاصة! وها هو اليوم يعيش “الحلم الأمريكي”

www.youtube.com/watch?v=01QDlnCZAH8

خلاصة القول هي أن القرصنة في الصومال كانت مخرجاً للكثير من الشباب والأسر المنهكة والتي ضاقت بهم هبة البحر بفضل السفن العملاقة التي نهبت خيرات وطنهم البحرية ومنعتهم في بعض الاحيان حتى من الصيد بجانبهم، فأصبح هؤلاء الصيادون ‘خفر سواحل’ بزعمهم، ولكن الامر تفاقم حتى أصبحت القرصنة عملاً ممنهجاً يديرها كبار زعماء المافيا والجريمة المنظمة في إفريقيا وآسيا وأوروبا وربما حتى في أمريكا نفسها، وهؤلاء السادة هم من يستلمون الملايين ويرسلون للقرصنة ما هو أقل من واحد في المئة من أموال الفدية.

ففي وطن أنهكته الفوضى أكثر من إنهاك الحرب له، لا يمكنك ان تستغرب وتقول لماذا يفعل هؤلاء ما يفعلونه، فما الاختيارات المتاحة لهم؟ فلا دراسة ولا فرص عمل لتأمين قوت عوائلهم، ولا حكومة قوية يمكنها إجتثاث القبلية والجشع من المجتمع. وهذا تماماً ما يحاول الفيلم إيضاحه، فهو لا يتعالى على القراصنة بإظهارهم كوحوش تمص دماء الابرياء بانتظار المخلص الأمريكي كما عودت ل السينما الهوليوودية، بل ورغم إختلافك وكرهك لما يقومون به هؤلاء يجعلك الفيلم تتفهمهم وتتمنى أن لا يضعك القدر في أقدامهم، تاركاً المشاهد في حالة من التفكير والمساءلة لما تقوم به دوله حيال أمر القراصنة. هذا الأمر يتجلى في حوارات موسى مع فيليبس، حيث يقول الاول للآخر: “حلمي هو أن أذهب الى أمريكا وأشتري سيارة وأعيش في نيويورك” ولكنه في قلب المحيط يصداد السفن ويخاطر بنفسه بدون أي تردد.



ولعل بركات هو من حقق حلم موسى بشلٍ أو بآخر، إذ مثل جنباً لجنب مع أشهر ممثلي هوليوود، توم هانكس، بدون أي خبرة مسبقة في التمثيل وبدون أن نشعر أي فرق بين أدائه وأداء هانكس، لا بل ينافس في الصدارة وفي بطولته للفيلم. تراجيديا هذه الحياة الصعبة تجعلك تقول لنفسك: “ماذا لو”، ماذا لو أن الحرب الأهلية الصومالية لم تحدث، لو أن موسى ورفاقه لم يركبوا البحر، لو أن الصوماليين أعطوا فرصة كافية للحياة الكريمة وإثبات النفس.

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/971>